باسمه تعالى و تقدس

أسباب
نشأة الفرق
والمذاهب الكلامية

إعداد : محمد شهاب الدين

مقدمة :

إنَّ الإسلام دينُ وحدة وأُخوة، دعا أتباعه إلى الاجتماع على الحق ونبذ التفرق والاختلاف، فقال الله تعالى : ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ (آل عمران: 103)

فهذه الآية الكريمة تأمر المسلمين بالتمسك بحبل الله المتين، وتحذرهم من الفرقة التي تمزق صفوفهم وتضعف قوتهم.

ولكن لما غلبت الأهواء على القلوب، ودخلت البدع في الدين، وتفرق الناس في العقائد والمناهج، ظهرت الفرق والمذاهب الكلامية التي ابتعدت عن منهج النبوة، فصار كل فريق يدعي أنه على الحق ، وقد أخبر النبي ﷺ عن وقوع هذا التفرُّق ، **فروى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله تعالى عنه أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ أَوِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاث وَسَبْعِينَ فِرْقَةً (رواه الإمام الترمذي ، رقم الحديث : 2640)**

إن العقيدة الإسلامية هي الأساس الذي تقوم عليه وحدة الأمة ، و منذ أن بزغ فجر الإسلام على هذه الأرض ، وتلألأت أنواره في العقول والقلوب ، ظلت وحدة الأمة مقصدا عظيما وغاية كبرى ، إذ جمعهم كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- على التوحيد والإيمان ؛ غير أن التاريخ الإنساني لا يخلو من ظواهر التفرق والاختلاف ، فهي سنة من سنن الاجتماع البشري ، فشهد التاريخ الإسلامي في فترات مبكرة ظهور فرق ومذاهب كلامية شتى

، اختلفت في مسائل الإيمان ، والقدر ، وصفات الله ، وتفاوتت في قربها وبعدها عن منهج الكتاب والسنة ، وتباينت في فهمها للنصوص الشرعية.

ودراسة أسباب نشأة هذه الفرق ضرورة علمية لمعرفة كيف حدث الانقسام ؟ وكيف يمكن تجنب مثله في زماننا؟ ؛ لذلك أتناول في هذا البحث بيان المفاهيم الأساسية المرتبطة بالموضوع ، ثم تتبع نشأة الفرق تاريخيا ، وتحليل الأسباب التي أدت الى ظهورها.

الفصل الأول : المفاهيم الأساسية

تعريف الفرق والمذاهب

الفرق : جمع فِرقة ، وهي في اللغة تعني الانفصال والتشتت والبعد عن الجماعة ، و طائفة أو جماعة من الناس

و في الاصطلاح : طائفة من الناس تجمعها آراء واحدة تتفق عليها و تعمل على نشرها و تأييدها والدفاع عنها. (الموسوعة الإسلامية العامة ، تحت إشراف : د. محمود حمدي زقزوق ، ص ١٠٧٧ ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ء)

والمذاهب: جمع مذهب ، وهو في اللغة : ذهب مذهب فلان : قصد قصده و طريقته ، وذهب مذهبا في الدين : رأى فيه رأيا

و في الاصطلاح : لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن ذلك المعنى اللغوي (المصدر السابق ص : ١٢٧٤)

فالمذهب في الاصطلاح: الطريق أو المنهج الذي يسلكه الإنسان ، و هذا قد يكون فقهيا ، و قد يكون عقديا ، و قد يكون فكريا.

الفصل الثاني : لمحة تاريخية عن ظهور الفرق

نشأت الفرق بعد انتقال الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى الرفيق الأعلى ، وقد سلك النبي -صلى الله عليه وسلم- في سبيل دعوته إلى الإسلام مسلك الحكمة ، والموعظة الحسنة ، وجادل بالتي هي أحسن ، فما لبث الناس ممن هدى الله إزاء تلك الدعوة أن انصاعوا الى الحق ، ودخلوا في دين الله أفواجا دون جدل أو مماراة ، وسمعوا منه وصفه لربه سبحانه وتعالى في آيات القرآن الكريم ، فلم يسألوه عن شيء من ذلك ، كما كانوا يسألون عن بعض الأمور الدينية الأخرى كالصلاة والصيام والزكاة وعن اليوم الآخر وعن الجنة والنار ، وسكتوا عن الحديث في الصفات بعد أن أثبتوا له سبحانه وتعالى صفات ازلية من العلم والقدرة و الإرادة والحياة والسمع والبصر ، وساق الكلام سوقا دون تكلف ولا تفلسف ، وكذلك أثبتوا له سبحانه وتعالى ما أطلق على نفسه ووصف به نفسه من الوجه واليدين ونحو ذلك مع نفي المماثلة للمخلوقين ، فلا تشبيه ولا تعطيل ، ولا عرف أحد منهم الطرق الكلامية ولا المسائل الفلسفية.

ولم يكد ينتهي عصر الخلفاء حتى حدث الخلاف الذي تصدعت به وحدة المسلمين ، وصارت بينهم فرقا وأحزابا يكفر بعضهم بعضا ، ولم يسلم من ذلك التكفير أحد ، حتى أكابر الصحابة -رضي الله عنهم- وذلك الخلاف الذي اعتبر فتنة كبرى في عهد سيدنا عثمان -رضي الله عنه- ، وبعد مقتل سيدنا عثمان -رضي الله عنه- انقسم الناس وافترق المسلمون بين مطالب بدمه وبين ثائر عليه ، و بويع سيدنا علي بالخلافة ، فقام عليه المطالبون بدم سيدنا عثمان ، وكان اول ما وقع من هذا خروج طلحة و الزبير والسيدة عائشة -رضي الله تعالى عنهم- في محاربتهم لسيدنا علي في موقعة الجمل و انهزامهم أمام سيدنا

علي وقتل طلحة والزبير، ثم بعد هذا حدثت موقعة صفين بين سيدنا علي و سيدنا معاوية ، وكادت الدائرة أن تدور على معاوية وجيشه الذي أتي به من الشام ، لولا ما دبره سيدنا عمرو بن العاص -رضي الله تعالى عنه- من حيلة طلب التحكيم وسلم سيدنا علي -رضي الله تعالى عنه- فظهرت فرقة **الخوارج** و قالوا : **لا حكم إلا لله** ، ونادي الخوارج بتكفير علي وعثمان ومعاوية والحكمين أبي موسى الأشعري و عمرو بن العاص وأصحاب الجمل.

ويقابل فرقة الخوارج في هذه الأحداث فرقة **الشيعة** ، وهم كثيرون ويجمعون على استحقاق علي رضي الله عنه بالخلافة ، وبين هاتين الفرقتين الخوارج والشيعة ، وجدت فرقة ثالثة ، وهي **المرجئة** التي لا تكفر أحدا بذنب بل تترك هؤلاء وأولئك إلى الله سبحانه وتعالى.

و بالنظر إلى هذه الفرق نجد أنها نشأت أول ما نشأت سياسة محضة ؛ لأن سبب نشأتها هو أمر الخلافة الإسلامية ، وإن كان رأيها في التكفير وعدمه يرجع إلى استدلالات إسلامية و مبادئ دينية ، لكن حالتهم تغيرت وأصبحت بعد انتهاء هذا الامر السياسي فرقا دينية محضة استأثرت بأقوال متطرفة وتناولت مبادئ هدامة مدسوسة على الفكر الإسلامي ومخالفة لتعاليم الإسلام الصحيح بعيدة عن منهج الكتاب والسنة. (إهـ ، موقف أهل السنة من الفرق للدكتور نصر محمد نصر القاضي صـ ٢٢-٢٥ ، بتصرف يسير)

و تولى سيدنا معاوية الخلافة سنة 41هـ ، و بدأ في عهدها ذيوع و انتشار مذهب الجبر ، ؛ و ذلك لأن بعض ولاة الدولة الأموية كانوا يشعرون أن توليهم ليس محل إجماع من الناس ، فبدأوا في نشر فكرة الجبر ، و بدأ البعض في الدولة الأموية في تأويل الآيات ، و نشر الأحاديث التي تؤيد ذلك. فقد روى

البخاري في صحيحه بسنده عن ورَّاد، مولى المغيرة بن شعبة، قال: كتب معاوية إلى المغيرة: اكتب إلي ما سمعت النبي ﷺ يقول خلف الصلاة، فأملى علي المغيرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول خلف الصلاة: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد" وقال ابن جريج: أخبرني عبدة: أن ورَّاداً أخبره بهذا. ثم وفدت بعد إلى معاوية، فسمعته يأمر الناس بذلك القول. (رقم الحديث : 6615) فكان بعض الولاة الأمويين يريدون بذلك القول بأن الله تعالى أعطاهم الخلافة ، فلا يمنعهم أحد ، ولا ينازعهم فيها أحد ، و بذلك ظهرت فكرة الجبر ، أو فرقة **الجبرية**

وهناك قاعدة : "لكل فعل رد فعل" فقد نشأ كرد فعل للرأي السابق القائل بالجبر رأي آخر يقول بالاختيار ، وأن الإنسان حر في اختياره ، و قد تبنى هذا الرأي رجال من أشهرهم : معبد بن عبد الله الجهني ، فكان معبد هذا أول من تكلم في القدر ، حتى بالغ في القول بالقدر ، وقال قولته المشهورة : "لا قدر والأمر أنف" فقد نفى القدر و بذلك نشأت فرقة **القدرية** . (لمحات من تاريخ الفرق في الإسلام للدكتور جميل إبراهيم السيد تعيلب ، صـ ٨)

ويحدثنا الشهرستاني عند كلامه عن أصول المعتزلة يقول :

" إنه قد دخل رجل على الحسن البصري ، وقال له : يا إمام الدين! لقد ظهر في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفر، يخرج صاحبه من الملة ، وهم الخوارج ، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة

عندهم لا تضر مع الايمان ، ولا يضر مع الايمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة الأمة ، فكيف تحكم لنا في ذلك الاعتقاد؟ ففكر الحسن في ذلك ، فقبل أن يجيب ، قال واصل ابن عطاء : أنا لا أقول أن مرتكب الكبيرة مؤمن ولا كافر ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ، ثم قام واعتزل مجلس الحسن البصري الى اسطوانة في المسجد ، وأخذ يقرر مذهب الاعتزال باصوله ، فقال الحسن البصري : اعتزل عنا واصل ، فسمي هو وأصحابه **معتزلة** ". (الملل والنحل للشهرستاني ص ٦١)

ثم تكاثرت الفرق بعد ذلك ، حتى عددها أصحاب كتب الملل والنحل والفرق إلى اثنتين وسبعين فرقة ، وقد ذكر صاحب كتاب البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان أصول هذه الفرق ومبادئها إجمالا ثم تفصيلا ، فأجمل أصولها في أربع ، هي : ١-الخوارج 18 فرقة ، ٢- المرجئة 18 فرقة ، ٣- المعتزل 18 فرقة ، ٤- الرافضة أو الشيعة 18 فرقة ، ثم ذكر بعد ذلك الفرقة الناجية فرقة أهل السنة والجماعة.

وقد وردت أحاديث في افتراق الامة على ثلاث و سبعين فرقة ، فاختلف أهل العلم في المراد بالعدد المأثور أو الأمة.

فمنهم من يقول : إن العدد لمجرد التكثير، وأن العدد لا مفهوم له ، فلا مانع من الزيادة على العدد المأثور، ومنهم طائفة تكلفوا في حصر العدد.

الفصل الثالث : أسباب نشأة الفرق والمذاهب الكلامية

لقد تضافرت عدة أسباب أدت إلى ظهور الفرق ، منها :

١ _ التباين في فهم آيات القرآن الكريم : حيث يفهم من بعض آياته أمر ، و يفهم من آيات أخرى معنى مخالف للمعنى الأول ، أو قد يستنبط البعض معنى من آية ، و يستنبط البعض الآخر معنى آخر منها.

مثال النوع الأول : وردت بعض آيات يفهم منها جواز رؤية الله تعالى ، مثل قوله : **"وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ"** (سورة القيامة ، الآيتان : ٢٢ ، ٢٣) وقوله: **الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ** (سورة يونس ، من الآية : ٢٦) فالحسنى هي الجنة، والزيادة هي رؤية الله تعالى في الآخرة. وآيات أخرى يفهم منها عدم جواز رؤية الله تعالى مثل : **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** (سورة الأنعام ، من الآية : ١٠٣)

ومثال النوع الثاني : الآيات التي يستنبط منها البعض معنى ، ويستنبط آخرون معنى آخر منها : قوله تعالى : **رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ** (سورة البقرة ، من الآية : ٢٨٦) حيث ذهب البعض إلى أنها تدل على عدم جواز التكليف بما لا يطاق ؛ لأن معناها عدم التكليف بما يشق فعله مشقة عظيمة .

وذهب البعض إلى أنها تدل على جواز التكليف بما لا يطاق ، إذ لو لم يكن جائزاً ، لما حسن طلبه بالدعاء من الله تعالى.

٢ _ الحروب التي نشأت بين سيدنا على بن أبي طالب" وبين سيدنا "معاوية بن أبي سفيان" – رضي الله عنهما-.

فالأحداث التي نشأت في أواخر عهد الخليفة الثالث "عثمان بن عفان"، وأدت إلى قتله ومطالبة "معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – الخليفة الجديد " على بن أبي طالب" بدم "عثمان"، وما نجم عن ذلك من موقعة الجمل وموقعة صفين ، وخروج بعض أتباع الخليفة عليه، وانقسام المسلمين إلى فريقين ، فريق يرى أنه على الحق، وفريق يرى أنه ليس كذلك ، وأدى ذلك إلى ظهور فرق "الخوارج والشيعة" .

٣ _ و من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور الفرق ، أمر متعلق بالدين الإسلامي نفسه :

فالإسلام خاتم الأديان، وهو صالح لكل زمان ومكان ، ولكونه دينا عالميا دخلت فيه أمم كثيرة ، وكانت بعض هذه الأمم لها ديانات وثقافات متعددة ومختلفة، مثل أهل فارس والروم ، فالفرس كانوا يعتنقون المجوسية ، والروم كانوا يعتنقون النصرانية ، وكانت لهذه الأمم حضارة ومدنية وفلسفة ، فلما دخلوا الإسلام ، بحثوا في نصوصه ، وحاولوا فهمه ، واعتناق مذهب يتفق مع فهمهم لنصوصه ، يقول الشيخ " أبو زهرة " : " دخل كثيرون من أهل الديانات القديمة في الإسلام ، فدخل في الإسلام يهود

ونصارى ومجوس، وكل هؤلاء في رؤوسهم أفكارهم الدينية الباقية من ديانتهم القديمة ، وقد استولت على مشاعرهم ، فكانوا يفكرون في الحقائق الإسلامية على ضوء معتقداتهم القديمة ، وقد أثاروا بين المسلمين ما كان يثار في ديانتهم من الكلام في الجبر والاختيار، وصفات الله تعالى ، أهي شيء غير الذات ، أم هي والذات شيء واحد ؟ (تاريخ المذاهب الإسلامية ، الشيخ محمد أبو زهرة ، صـ ١٣)

٤– وجود عناصر أجنبية دخلت في الإسلام ، ساعدت على إذكاء نار الفتنة والحروب في المجتمع الإسلامي.

ولعل من أبرز هذه العناصر " عبد الله بن سبا " وظهور الحركة السبابية في العصر الإسلامي الأول ، فيذكر الإمام الطبري طرفا من حياة "ابن سبا"، وتنقله في البلاد وبث الآراء الضالة ، والفرقة بين المسلمين . فيقول : " كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء ، أمه سوداء ، فأسلم زمان سيدنا عثمان –رضي الله عنه–، ثم تنقل في بلدان المسلمين ، يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة ، ثم الكوفة ، ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام ، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم . فقال لهم فيما يقول : " لعجب ممن يزعم أن "عيسى" يرجع ويكذب بأن "محمدا" يرجع ، وقد قال الله عز وجل : **"إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ أَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ"** (سورة القصص ، من الآية : ٨٥) فمحمد " أحق بالرجوع من " عيسى" ، قال : فقبل ذلك عنه . ووضع لهم الرجعة ، فتكلموا فيها . ثم قال لهم بعد ذلك : إنه كان ألف نبي ، ولكل نبي وصي ، وكان "على" وصى "محمد". ثم قال : "محمد" خاتم الأنبياء ، و"على" خاتم الأوصياء ، ثم قال بعد ذلك : من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله

، ووثب على وصي رسول الله –ﷺ– ، وتناول أمر الأمة ، ثم قال لهم بعد ذلك : إن عثمان أخذها بغير حق . وهذا وصى رسول الله –ﷺ– ، فأنهضوا في هذا الأمر فحركوه ، وابدأوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تستميلوا الناس ، وادعوا إلى هذا الأمر. فبث دعاته ، وكاتب من كان استفسد في الأمصار ، وكاتبوه ، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك " (تاريخ الطبري ، جـ ٤ ، صـ ٣٤١،٣٤٠)

٥ – <u>الترجمة</u> :

هناك سبب آخر من أسباب الخلاف و ظهور الفرق، هذا السبب هو ترجمة الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية ، واطلاع العلماء العرب على أفكار متباينة ، أثرت بوجه ما في العقلية الإسلامية ، و كان من أثر حركة الترجمة هذه ، أن ظهرت فلسفات وآراء متأثرة بالفكر اليوناني والفارسي ، وغيرها من الحضارات التي كانت موجودة في ذلك العصر.

(هذه الأسباب الخمسة مأخوذة من كتاب "لمحات من تاريخ الفرق في الإسلام" للدكتور جميل إبراهيم السيد تعيلب)

٦– <u>التعرض لبحث كثير من المسائل الغامضة</u> :

فإن شيوع التفكير الفلسفي بين علماء المسلمين في إثبات العقائد قد جرهم إلى دراسة مسائل ليس في استطاعة العقل البشرى أن يصل إلى نتائج مقررة ثابتة فيها ، كمسألة إثبات صفات الله تعالى ونفيها ، ومسألة

قدرة العبد بجوار قدرة الرب ، وغير ذلك من المسائل ، فإن البحث في هذه المسائل يفتح باباً واسعاً من أبواب الاختلاف ، إذ تختلف الأنظار ، وتتباين المسالك ، ويتجه كل اتجاهاً يخالف الآخر، وربما كان أكثر المسائل التي وقع الاختلاف فيها علماء الكلام من بهذا القبيل. (تاريخ المذاهب الإسلامية ، صـ ١٤)

فهرست المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم ، كتاب رب العالمين

٢- صحيح الإمام البخاري ، ت : ٢٥٦هـ

٣- الجامع للإمام الترمذي ، ت : ٢٧٩ هـ

٤- تاريخ الإمام الطبري ، ت : ٣١٠هـ

٥- الملل والنحل للشهرستاني ، ت : ٥٤٨ هـ

٦- تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة ، ت : ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م

٧- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان لأبي الفضل عباس بن منصور السككي ، ت : ٦٨٣ هـ

٨- الموسوعة الإسلامية العامة ، تحت إشراف : د. محمود حمدي زقزوق ، ت : ١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠م

٩- موقف أهل السنة من الفرق ، د. نصر محمد نصر القاضي

١٠ – لمحات من تاريخ الفرق في الإسلام للدكتور جميل إبراهيم السيد تعيلب

فهرست الموضوعات

محمد شهاب الدين

١٩ من جمادى الأولى ١٤٤٧ هـ

١١ من نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠٢٥ م